يتفرّجون ويضحكون. صراخه يصير اختناقاً والعقرب تلسع وتتنقل، جسده يتضاءل والعقرب تنتفخ، وجهه يشحب وأطرافه تضمحل ووجه العقرب يتورّد وأطرافها تمتدّ، جسده يذوب وجسد العقرب يتضخّم، جسده يصير بحجم ذبابة ثمّ يتلاشىٰ والعقرب تصير بحجم فيل يستند بظهره إلى الباب المقفل، تستدير بعدما تلاشىٰ الجسد المقيّد إلى الثلاثة، تندفع بشراهة، تندفع وهم يتراجعون بذعر حتىٰ انتهت بهم إلى زاوية ضيّقة. بدأت بالتهام أكثرهم سمنة وانتهت بأرقّهم عظاماً بعدما استبدلت لسعها بالقضم، وكلّما قضمت لقمة ما من أجسادهم صغر جسدها بحجم لقمتين حتّىٰ انتهت أخيراً إلى جسد العقرب الاعتيادي فأفرغت سمّ زُنابتها في جسدها وانتحرت قرب كرسي المدير الشّاغر.

٣ ـ امتدادات

مدّ لسانه واستفاق من نومه، مدّ قوائمه، أجفانَه، بطنَه المسلوخة من حرق قديم، مدّ جفنيه واستدار إلى جهة السّرير اليمنىٰ حيث أشياء حجرته العتيقة، وما بين السهد والاستدارة تسقط أشعّة النيون من الجدار إلى عينيه، وكلّما مدّ شيئاً من زوائد جسده انكمش جلدُه بقشعريرة الفراش، ماءت قطّته فهمس في داخله: «مواء القطط عواء نساء مطلّقات، مواء القطط صراخ الرّأس والذّاكرة وبطلانُ امتداد أحوج حاجات الجسد».

مدّ لسانه ليرطّب شفتيه حين ماءت ثانية قطّته الجائعة واللاّئذة بقوائم السّرير الحديديّ الصّدئ، مدّ يده إلى الجانب البعيد من فراشه، تلمسه بأصابعه، ظنّ أنّه يلامس جسدها، لكنّه حين استدار بوجهه المتعب أحسّ أنّ أصابعه أصابها العطب الذي أصاب رأسه منذ تركته المرأة التي امتدّت بطول جسدها معه ليالي طوالاً حتىٰ اللّيلة التي أحسّت فيها ببطلان امتدادِ أهمّ ما في جسد الرّجل.

امتدّتْ به الذّاكرة إلى سنتين خلتا، هناك في صحراء البترول الممتدّة كسراب أسطوري حيث ترك أهمّ ما يمكن أن يمتدّ في جسده. منح وجهه للجدار وأجهش في بكاء مجنون..

٤ ـ حلقة

كلّما فكرّ بما آلتْ إليه حالُ الدّنيا ازدادتْ عنده شراهةُ التدخين، وكلّما سحب سيجارة ليشعلها فكّر بسعر العلبة، وكلّما فكّر بسعر العلبة فكّر براتبه، وكلّما فكّر براتبه تذكّر متطلّبات البيت والزّوجة والأطفال وحال السوق، وكلّما فكّر بحال السّوق تذكّر نوعين من البشر: سمين مترف وآخر معصور الجسد منخور العظام، وكلّما فكّر بنوع البشر تذكّر الجالد والمجلود، وكلّما تذكّر الجالد والمجلود تذكّر الحصار والحرب وما آلت إليه حال الدنيا حتىٰ في أطراف أخرىٰ بعيدة عن جسده في أرجاء المعمورة، فتزداد عنده شراهة التدخين.

بغداد

سيناريو موت جندي في أرض أخرى

كاظم الحجاج

لقطةٌ أولىٰ:
خُوَذٌ خلّفَتْها هزيمةُ جيشِ الغزاةْ
خوذٌ للجنود ـ المُشاةْ
يُرتّبها نَسَقٌ صارمٌ
وتقودُ تَقَدُّمَها.. سلحفاةْ!

* * *

في مطبخِها تتشاءمُ أُمُّ الجندي الغائبِ
مِنْ كُرسيٍّ فارغْ..
وإناءٍ دونَ طعامٍ؛
فَتُهرِّبُ دمعتَها عن عينِ أبيهِ وإخوتِهِ..

* * *

ولكنّها..
ـ بين صوتِ ارتباكِ الملاعقِ فوقَ الصّحون ـ
تُكَسِّرُ بالدَّمْعِ صورةَ كرسيِّهِ فارغاً..
وصورتَهُ الجامعيّةَ
.. وهوَ.. هناك!

* * *

سلكُ ذاكرةٍ مُبْهَمٌ مثلَ خطِّ المدارْ
طَرَفاهُ بعيدانِ؛
بينهما زمنٌ ودماءٌ مؤجَّلةٌ
.. ونهارْ،
هنا يبتدي..
وهو منطفئٌ ههناكْ
ثابتٌ في الخرائطِ فوقَ الجدارْ
ولكنّه ـ في المدىٰ ـ
أَربَكُ مِنْ سَمَكٍ.. في الشِّباكْ!

* * *

حين يموتُ الجنديُّ غريباً
في أرضٍ أخرىٰ،
قد يَحْسِدُ قاتِلَهُ «الموعودَ» بموتٍ
لا غربةَ فيه!

* * *

تُهيِّئُ غرفَتَهُ كُلَّ يوم
وتُبدِلُ صمتَ السَّتائر..

تفتحُ شبّاكَهُ.. وتنام دقائقَ فوقَ وسادته
لِتَشَمَّ تَلامُسَ خدَّيهِ..
(قَطْعٌ سريع)

* * *

.. تسقطُ كَفُّ الجنديِّ على أرضٍ ترفضها
.. وترابٍ يأبى أنْ يُصبحَ طِيناً بدماءٍ غريبْ!
صوتٌ يُعْلِنُ:
أنَّ الطِّينَ المتكوِّنَ مِن أرضِ الأوطانْ
وَدِماءِ الأبناءْ،
سيصيرُ جنيناً،
ينمو.. أثناءَ صُعودِ الشُّهداء!

* * *

لا تَبعُد ذاكرةُ المقتولِ
عن القاتلِ.. والزَّرِفِ
ودائرةُ القتلِ مُرَبَّعَةٌ
لِتُذَكِّرَ بالشَّطرنج!

(قطع..)

* * *

(إلى).
بنتٍ تكتبُ في حُبٍّ
وتُقَبِّلُ أوراقَ رسالتِها..

* * *

(مزج)..
يتحسَّسُ أوراقَ رسالتِها
المدسوسةَ في الجيبِ اللاّصِقِ بالقلبْ
.. لا يُخرِجها خشيةَ أنْ يُتلفَها دمُه
أو.. خجلاً من أن يقرأَها
بأصابعَ مرتجفاتٍ.. تتراخىٰ.
للموت!

* * *

في معرضِ أسلحةٍ:
● فوقَ الدَّبّاباتِ يطيرُ حَمامٌ ساخرْ
● طفلٌ يسألُ صاروخاً:
«كمْ بيتاً يمكنُ أنْ تَهدِم؟»
● كهلٌ يسألُ صاروخاً:
«كمْ بيتاً يمكن أنْ تبني؟!»

* * *

ذاكرةٌ تمشي مثلَ الثَّورْ
تمسحُ خارطةً من جُزُرٍ ومحيطاتٍ
لِتُلامِسَ وجهَ الأمّ
في مطبخِها ـ النّاقصِ كرسيّاً ـ
تبكي.
والطَّبقُ الفارغُ.. مكسور!

* * *

(قطع إلى أستاذ جامعي يسأل:)
الجنودْ..
في إجازاتِهم يَدخلونَ إلى المكتبات
فمتى تدخلُ المكتباتُ
إلى.. الثُّكنات؟!

* * *

صوتُ أغنية:
كلَّما اشتعلَتْ نارُهم فالسَّماءْ
بها مطرٌ باردٌ.. والحَمام
يُحَوِّمُ فوقَ الحريق.

* * *

لافتةٌ ملطَّخةٌ بالدِّماءِ مكتوبٌ عليها:
قبلَ أنْ نبتنيَ وطناً لنعيشَ عليه
فلا بُدَّ منْ وطنٍ أوَّليٍّ
.. نموتُ له!

* * *

بنتٌ أخرىٰ تكتبُ في حُبٍّ
وتُقَبِّلُ أوراقَ رسالتِها..

* * *

صوتٌ مع كلمةِ (النّهاية):
ما يُدعىٰ نصراً في كُلِّ حروبِ التّاريخْ،
لا يَعدِلُ نَصْرَ الأُمِّ
تُحَدِّقُ في المولودِ.. الخارجِ تَوّاً!

البصرة

١٩٨٩

١٩٩٠

١٩٨٩

١٩٩٠